

الشعر ودوره في حفظ الهوية الوطنية

المكان: طهران . حسينية الإمام الخميني (ره)

المناسبة: ذكرى ولادة الإمام الحسن المجتبي (ع)

الحضور: جمع من الشعراء ومداحي أهل البيت عليهم السلام

الزمان: ٢١/٤/١٣٩٣ش. ١٤/٩/١٤٣٥هـ. ١٢/٧/٢٠١٤م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً نرحب بالحضور، فهذه من الجلسات والاجتماعات الطيبة بالنسبة لي. وقد كانت دوماً كنتك المائدة العامرة بأنواع الطعام، لكن الشهية وحجم المعدة لا يسمحان للإنسان بالتناول من كل تلك الأطعمة، لذلك فهو ينهض عن تلك المائدة شبعاناً لكنه متشوق وميال - مع ذلك - إلى المزيد. ونحن أيضاً ننهض عادة من هذه الجلسة على هذا النحو. الزمن ممتلئ لكن الميل والرغبة للاستماع منكم باقية على حالها. خصوصاً وأن الإنسان يشاهد، والحمد لله، أن تيار الشعر وقافلة الشعر في البلاد تسير نحو التقدم، والشعر الذي قرئ في جلستنا هذه لا يمكن مقارنته حقاً بالشعر قبل عشرة أعوام أو إثني عشر عاماً. لقد تطوّر كثيراً والله الحمد.

أبارك ذكرى الولادة السعيدة للإمام الحسن المجتبي (سلام الله عليه)، وأتقدم بالشكر لبعض الأعداء الحاضرين في هذه الجلسة الذين أشاروا لهذه الذكرى وصاحبها العظيم (١). وأذكر بقرب حلول ليلة القدر المباركة، فاعرفوا قدر ليالي القدر، فهي نوافذ قيمة تفتح علينا أنا وأنتم، فلنعرّض أنفسنا للنسائم المعنوية والقدسية والحيوية القادمة من هذه النوافذ، وسنتنفع منها إن شاء الله. وأنا بدوري أسألكم الدعاء. أتمنى لكم التوفيق إن شاء الله.

نذكر جملة من النقاط حول الشعر. الشعر في أساسه ظهور لأفكار الشاعر ومشاعره وهمومه وكلامه وما يريد أن يقوله ويعتبره جديراً بالذكر. الله تعالى يمنح الشاعر قدرة يستطيع من خلالها بتركيبه للحروف والكلمات وبالموسيقى المناسبة أن يطرح أفكاره ونظراته وأحاسيسه وهمومه في حلّة جميلة ومؤثرة. هذا هو الشعر. إذن، فاعلية الشعر بالدرجة الأولى هي استجابة لتلك الحاجة الداخلية للشاعر، أي ولادة معنوية من الشاعر يستطيع من خلالها التعبير عن مفاهيم ومعارف وحقائق ونقلها من داخله إلى الخارج، وإبراز همومه ومشكلاته. وعليه، إذا اعتبر الشاعر أن الشعر هو من أجل التعبير عن آلامه وأوجاعه وهموم قلبه فلن يكون ذلك مستنكراً منه، فهذا هو الوضع الطبيعي والأولي للشعر. الشاعر يعبر عن دخليته بهذه الكلمات، ولكن ليست هذه هي الفاعلية الأساسية للشعر.

الفاعلية والدور الرئيسي للشعر هو التأثير الذي يتركه شعركم على المتلقي. إنكم تشغلون بشعركم خلوة المتلقي. للإنسان خلواته، وهذه من مميزات الإنسان. للإنسان خلواته وحالاته الداخلية وله أسراره وذاتيته، وأنتم بأشعاركم تدخلون إلى هذه الخلوة وتأثرون فيها وتثرونها. هذه من أهم فاعليات الشعر وأدواره. تستطيعون تعطير هذه الخلوات وتنزيهها وتطهيرها وتلطيفها وتنشيطها وبث الأمل في أجوائها وفي هذه اللحظات الخاصة جداً من حيوات متلقيكم، أو لنقل: هذه المراحل والمنازل والمواقع من وجود الإنسان. بمقدوركم تغذية الإنسان فكراً، وبوسعكم توجيهه وإرشاده، فخلوات المرء هي في الواقع غرف فكر الإنسان الشخصية أو هي غرف عملياته. لكل إنسان في داخله غرف تخطيط وأفكار يمكنكم من خلال أشعاركم - إذا كانت لهذه الأشعار القدرة على النفوذ والتغلغل وفرض نفسها على خلوات ذهن الناس وخلوات قلوبهم - الدخول إليها والتأثير فيها. هذه من أهم فاعليات شعركم وما ينبغي له أن يقوم به من دور. وهذا شيء مهم، لأن هذه الخلوات هي في الواقع المؤثرة في التجليات وصناعة التجليات. أفكار الإنسان وقراراته المهمة تتخذ في هذه الخلوات. الإنسان ينطلق من هذه الخوات نحو السبل الصحيحة أو الخاطئة ويختارها. إنها موطن الفهم والإدراك واتخاذ القرارات، ومواضع تكوين الهوية الأصلية للإنسان. يمكنكم أن تسجلوا حضوركم هناك وتتركوا بصماتكم وتأثيراتكم. وهذه من أهم وظائف الشعر وما يمكنه القيام به.

يحاول الشياطين اليوم أن يؤثروا على خلوات الأشخاص والمتلقين وشعبنا وكل أفراد الشعوب، سواء شعبنا أو الشعوب الأخرى. ويريدون أن يحقنهم بقيمهم ويسيطروا عليهم بما لهم من قيم وأفكار. إذا استطعتم أن تحققوا لأنفسكم مكسب التأثير في خلوات متلقيكم وإثرائها بالمعنويات وبما يبعث النشاط والحيوية والأمل والحراك والنقد والأمل في نفوسهم، لكان هذا توفيقاً ونجاحاً كبيراً. وهذا ما فعله شعراؤنا الكبار على مدى مئات السنين. لاحظوا أن سعدي الشيرازي، أو جلال الدين المولوي، أو حافظ الشيرازي، أو أبا القاسم الفردوسي، أو الخاقاني، لهم حضورهم في حياتنا المعنوية وفي أذهاننا وفي أفكارنا، واستطاعوا منذ مئات السنين التأثير على ذهنيات مجتمعاتنا. وهذا ما يحفظ لنا هويتنا الثقافية الوطنية الحقيقية وينقلها من جيل إلى جيل. هذا هو الواجب المهم لشعرائنا اليوم. إذا جرى الاحتفاظ بخلوات الأشخاص هذه - وبوسعكم أن يكون لكم دوركم على هذا الصعيد - عندئذ يمكن التفاؤل بإمكانية إصلاح القيم الاجتماعية. يمكن معالجة السلوكيات الاجتماعية عن هذا الطريق، أي إن الأشخاص حين يصلحون من الداخل ويتوجهون بالاتجاهات الصحيحة ويكونوا متحفزين متفائلين نشيطين يمكن التفاؤل بإصلاح السلوكيات والقيم السلبية وبأن تستقر القيم الاجتماعية الصالحة في مواضعها

وخطوطها الصحيحة. هذه نقطة تعد بالنسبة لكم أيها الشعراء فرصة كبيرة. اعتقد أن الله تعالى منحكم فن الشعر هذا، وهناك الكثير من الناس لهم أفكار جيدة ولكنهم لا يتوفرون على هذه الوسيلة الكفوءة، ولا يمتلكون هذه الحنجرة الدافئة الجذابة المرنة، ليستطيعوا نقل تلك الأفكار للآخرين، وأنتم تمتلكون هذه الحنجرة فإذا استطعتم أن تستخدموها بشكل جيد لكان ذلك عملاً كبيراً تقومون به.

ونقطة أخرى حول الشعر تتعلق بالأداء الاجتماعي للشعر. الشعر يحفظ الهوية الوطنية.. إنه يحفظ الهوية الوطنية. هوية الشعوب عبارة عن خصائصها ومزاياها الثقافية. هذا ما يشكل الهوية الثقافية لشعب من الشعوب. هذه الهوية الثقافية هي الأصل، وإذا سلبت من شعب فإن ذلك الشعب سوف يهضم ويذوب، أي إنه سوف يمحي ويقضى عليه بالمعنى الحقيقي للكلمة. وقد يبقى في أحداثيات جغرافية معينة ولكن من دون أن يكون شيئاً يذكر. إنه موجود ولكن وجوده يساوي عدم وجوده. الهوية الثقافية هي كل حياة الجماعة من الناس أو الشعب. وبمستطاع الشعب أن يقوي هذه الهوية الثقافية ويغنيها ويغذيها ويمونها. وحول الهوية الثقافية إذا نظرنا أيضاً لشعراء تاريخنا - وكبار الفصحاء والأدباء - لوجدنا أن رسالاتهم قيمة جداً: إنها رسالة التوحيد، ورسالة الإيمان بالله، ورسالة العمل الصالح والإحسان. والمنظومة الموجودة في هذا الخصوص تبعث على الدهشة حقاً. أنا غير مطلع كثيراً على شعر الشعوب الأخرى، ونحن على علم ببعضها طبعاً، لكن ينبغي القول والحق يقال إن الشعر الفارسي - بوستان سعدي الشيرازي، والشاهنامه لأبي القاسم الفردوسي، وخماسية نظامي گنجوي، وديوان حافظ الشيرازي، ومثنوي جلال الدين المولوي - زاخر بالحكمة، أي إن الحكمة والأفكار الراقية تتموج في هذه الكتب. ثمة في هذه الأسفار أفكار جد مميزة وفاخرة. وقد استطاعت هذه الأعمال أن تحقق لشعبنا هويته.

وأقولها لكم: إن كل ما لدينا من امتيازات وخيرات ناتجة عن هويتنا الثقافية. لو لم تكن هذه الهوية الثقافية لما انتصرت ثورتنا الإسلامية. ولو لم تكن هويتنا الثقافية لما ظهر أساساً إمام مثل إمامنا الخميني الذي أطلق النهضة ووصل بها إلى برّ الأمان. الإمام الخميني الجليل من صناعة وصياغة هذه الثقافة. هذه الثقافة هي التي تربي في المجتمع شخصاً مثل الإمام الخميني. فيجب الحفاظ على هذه الثقافة وصيانتها. وبوسعكم أنتم أن تصونوا هذه الثقافة. الشعر ينبغي أن يكون من حماة هذه الهوية، وهذه الهوية هي في الواقع العقلانية المعنوية التي نشدد عليها، أي على قضية العقلانية المعنوية والعقل الجمعي للمجتمع. هذه الهوية الثقافية هي في الواقع نفس تلك العقلانية، وهذا ما ينبغي أن تأخذه بنظر الاعتبار في أشعاركم وتحافظوا عليه: الأخلاق الإسلامية السامية، والحكمة المعنوية والإلهية والإسلامية، والتوحيد والإيمان بالله، والإنصاف، والصدق،

وكل ما يوجد في الشعر الفارسي الفاخر. إذا تكوّنت هذه المحفزات لدى الشاعر اليوم واهتم بهذا الموضوع وركّز عليه فسوف تنكشف له حقيقة الهجمات التي تشنّ على هذا القطب. الإشكال الذي يعاني منه البعض هو أنهم لا يرون الهجوم والغزو أصلاً، ولا يدركونه. إنهم لا يدركون أساساً وجود جبهة عقدت العزم وأقسمت الأيمان على استئصال الهوية الوطنية والإسلامية والثقافية لشعبنا. توجد كل هذه العلامات والمؤشرات والمظاهر وهم لا يفهمون. هذا هو الإشكال في أمرهم. الشاعر، وبسبب روحه الفنية ونظرته الثاقبة، عندما يعيش هذه الهموم وهذه الآلام وهذه المشاعر، فإنه سيشعر طبعاً بهذه الهجمات وينبri لمواجهتها والتصدي لها، وهذا بحد ذاته من الأعمال المهمة. سوف يدافع باسم ربّ الروح والعقل عن روح وعقل هذا الشعب. هذه هي خصوصية الشعر كفن راق سام قيم. وطبعاً دائرة هذه المهمة وحدودها لا تقتصر على الشعب بل تمتد إلى كل البشرية. عند النظر لكل عالم البشرية في الوقت الحاضر نرى أيدي العدوان والتطاول تمتد إلى كل القيم الإنسانية، سواء المادية منها أو المعنوية. إنها أيدي التطاول على استقلال الشعوب وثرواتها ودينها ومعنوياتها وأعراضها وأخلاقها. لقد مدّت القوى الكبرى أيدي التطاول بما لها من أدوات العلم التي استجلبت لهم الثروة أيضاً وحققت لهم تبعاً لذلك الإعلام العالمي الواسع، وراحوا يفعلون اليوم بالعالم كل ما يحلو لهم، ويقبلون الحقائق بكل سهولة.

طيب.. لنفترض أن شخصاً يقتل في منطقة أو نقطة من العالم، بل أحياناً قد يقتل حيوان في زاوية من زوايا العالم، وإذا بهم يثيرون الضجيج. أما بالنسبة للهجمات على غزة التي راحت الطائرات فيها تشن الغارات منذ أيام، وقتلت ربما أكثر من مائة شخص - والكثير منهم أطفال مظلومون أبرياء - فإن الأمر غير مهم بالنسبة لهم إطلاقاً. وليته كان عديم الأهمية بالنسبة لهم فقط، بل نرى أمريكا وبريطانيا - كما قرأنا في الأخبار - تقولان إنهما تدعمان هذه الهجمات. هكذا هو العالم اليوم. يدعمون كل سوء واعوجاج وفساد وقذارة ونجاسة إذا كان ذلك في خدمة مصالحهم، ولا يأبهون لشيء. ويعارضون ويجابهون كل طهر وقدااسة وصدق ونقاء ويتصدون له بكل وحشية، إذا لم يكن منسجماً مع مصالحهم. هكذا هو العالم اليوم.

طيب.. الإنسان الشاعر، أي الذي لديه قوة الشعور والإدراك والفهم، والقدرة على البيان والتعبير، ماذا يكون واجبه هنا؟ ما الذين ينبغي أن يفعله؟ فضلاً عن أنكم قادرون على التعبير عن الحكمة: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٍ» (٢) تستطيعون أن تكونوا مصداقاً لـ «وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ» (٣) أو «وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا» (٤) الواردة في تمة الآية الشريفة التي تتحدث عن الشعراء: «وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا». يمكنكم أن تكونوا مصداقاً لهذه الآية. انصروا وأعينوا

واهتموا بنصرة جبهة المظلومين، وقولوا الحقيقة وأظهروا الحقائق في أشعاركم. تستطيعوا أن تمارسوا دوراً كبيراً في هذه المجالات. التوفر على هذه الميزة هو بالتالي نعمة إلهية، وحبّة إلهية. وكل نعمة يجب أن تشكر، وكل حبّة يجب أن يكون لها جوابها. سيكون للإخوة والأخوات الأعزاء الحاضرين في هذه الجلسة إن شاء الله اهتماماً أكبر بهذا الجانب مما كان لهم لحد الآن. هذا مع أنني أجد لحسن الحظ أن شعراءنا الشباب وشعراء ثورتنا يقدمون أعمالاً جيدة حقاً وينظمون قصائد جيدة. وبطبيعة الحال فهذا كله يحصل عندما يتمتع الشعر برصيد الفن، وهذه هي توصيتنا الدائمة. ليس الشعر بمعناه فقط، أو بمضمونه، إنما التركيبة والشكل الفني والنسيج والأسلوب الفني شرط أساسي لكي يكون الشعر خالداً باقياً.

نتمنى أن يوفقكم الله تعالى جميعاً ويؤيدكم لتكونوا دائماً في خدمة القيم والمقدسات والصدق والحقيقة إن شاء الله. انتفعنا الليلة أيضاً من القصائد التي قرئت، زاد الله من دفاء أنفاسكم يوماً بعد يوم.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١ - قدّم بعض الشعراء الحضور في الجلسة قصائدهم في مدح الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام).

٢ - من لا يحضره الفقيه، ج ٤ ، ص ٣٧٩ .

٣ - سورة الشورى، شطر من الآية ٤١ .

٤ - سورة الشعراء، شطر من الآية ٢٢٧ .